المبحث الثالث

استغلال شبكة الإنترنت في دعوة أهل الكتاب

والخطاب الدعوى الذى يجب أن يعم أهل الكتاب من خلال شبكة الإنترنت يتصور فيه أن يتخذ شكلين من الخطاب الإسلامى : (خطاب القدوة ، وخطاب المجادلة) .

أولا : خطاب القدوة :

وخطاب القدوة هو أول خطاب يجب أن يوجه إلى الناس من أصحاب الدعوات وحملة الرسالات ومن اتبعهم بإحسان وخلفهم بإيمان ، وإلا فسيبقى الناس فى حاجة شديدة لهذا الخطاب ، مهما وجه إليهم من خطاب آخر ، وإن جمل أو كمل .

ولقد كان النبيون صلوات الله وسلامه عليهم قبل أن يقدموا خطاب ربهم ، يقدمون لهم أنفسهم خيرين صالحين راشدين فيجد الناس فيهم الصدق والأمانة ، والبر ، والحرص على نفعهم ، فيرضون بهم ، ويرجون منهم ، ويتخذونهم أسوة حسنة .

قال تعالى فى رسولنا ﷺ : ﴿ لقد كان لكُم في رسُول الله أُسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ (١) .

وقال في النبيين من قبله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين :

﴿ لقد كان لكُم فيهم أُسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجُو الله واليوم الآخر ﴾ (٢) .

بعد أن أخبر سبحانه أنهم صفوة البشر فقال : ﴿ وإنَّهُم عندنا لمن المصطفين

---

(١) جريدة الأهرام ، ص٢٢ ، ١٣ / ١٠ / ٩٨ .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

الأخيار ﴾ (١) .

ولقد فُطر الناس على افتقاد القدوة والبحث عن الأسوة ، لتكون لهم نبراسا يضيء سبيل الحق ، ومثالا حيا يُحتذى به ، ويُقتدى بفعاله ، يبين بحاله كيف يكون المؤمن وكيف يلتزم ؟

ولقد ربَّى القرآن الكريم دعاة الإسلام من لدن رسول الله ﷺ كيف يعطون القدوة لغير المسلمين أقدم منها نموذجين تبين ما أقصده من إعطاء القدوة (٢) :

الرسول ﷺ يعطي القدوة لغير المسلمين :

لقد كان رسول الله ﷺ بشخصه وجميع سلوكه ، وحسن تعامله مع الناس . ترجمة صادقة للداعية الموفق ، وأسوة حية لمن يرجو التحقق بالقرآن ، والتزام تعاليمه وآدابه ، وقد اكتمل فيه خلق القرآن حتى قالت عائشة ﵂ حين سُئلت عن خُلُقه : « كان خلقه القرآن » (٣) .

ولقد جعله الله تعالى قدوة وأسوة للناس ، فأعطى من نفسه القدوة في كل شيء ، فانتصر لغير المسلم على المسلم ، إقامة للحق والعدل ، بتوجيه الوحى المعصوم ، ونذكر لذلك موقفين من مواقفه الدعوية التى أعطى فيها القدوة ولغير المسلم ، فأقنع العالمين بأحقية الإسلام فى القيادة البشرية .

الموقف الأول : قصة اليهودى الذى اتهم بسرقة الدرع ، وهي : أن رجلا من المسلمين سرق درعا ، فلما خاف أن تظهر عليه ، رمى بها في دار يهودي ، فلما وجدت الدرع أنكر اليهودى أن يكون أخذها واستعان السارق بقومه على اليهودي ، فغلب على ظن النبى ﷺ أن اليهودي قد سرقها إذ شهد هو بذلك ووجدت الدرع في بيته ، وهذه كلها قرائن قوية ، ولكن القرآن الكريم ينزل منتصرا لليهودي على

---

(١) الممتحنة : ٦ .

(٢) ص : ٤٧ .

(٣) انظر مرتكزات الخطاب الدعوى ص٦٩ .

المسلم قائلا : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (١) .

وقد أراه الله أن المسلم هو السارق ، وأن اليهودي برىء، فبرأه رسول الله ﷺ.

والموقف الثانى : أن أبا حدرد رضي الله عنه قال : كان ليهودي على أربعة دراهم ، فاستعدى على رسول الله ﷺ فقال له : إن لى على هذا أربعة دراهم ، وقد غلبنى عليهم ، قال : « **أعطه حقه** » قلت : والذى بعثك بالحق نبيا ما أصبحت أقدر عليها ، قال « **أعطه حقه** » فأعدت عليه ، فقال : « **أعطه حقه** » فخرجت معه - أى اليهودى - إلى السوق ، وكانت على رأسي عمامة وعلى بردة متزر بها ، فاتزرت بالعمامة وقال : اشتر البردة ، فاشتراها بأربعة دراهم (٢) .

وهكذا يقف النبى ﷺ في صف اليهودي ، ينتصر له ، وينتزع حقه من المسلم مع عسر تحقيقه على المسلم ، ولا تعليق على هذه المواقف بعد أن كان غير المسلم ممن لم يستجب للدعوة يستعدى رسول الإسلام ﷺ على المسلم الذي يتبعه ، ويؤمن برسالته ، ويحمي دعوته ، ويقسم بالحق الذي بُعث به .

عمر يعطي القدوة لغير المسلم :

ولو استرجعنا أيام خلفاء الرسول ﷺ الذين تربوا على يديه ، نجد أنهم اقتدوا به ، واهتدوا بسنته ، فتوجوا التاريخ بمواقف يكاد يستحيل حصولها ، ويندر وقوعها في تاريخ البشرية .

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه يسجل للتاريخ أروع المواقف فى إقامة العدل ، ويعطى القدوة من نفسه لغير المسلم ، فيطمئن هذا لدين الحق ، ويسعد في ظلال شرعه وأحكامه ، وحكامه وإن لم يؤمن بعد .

ضرب ابن لعمرو بن العاص رضي الله عنه وهو وال على مصر ابنا لقبطى من أقباط

---

(٤) مسلم : ك صلاة المسافرين - ب - جامع صلاة الليل ، رقم ١٣٩ ، ج٥ ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ شرح النووي .

(٢) النساء : ١٠٥ .

مصر بالسوط ، وهو يقول : أنا ابن الأكرمين ، فأتى القبطي عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، يشتكى واليهم عمرو بن العاص ، قال أنس ﷺ : « كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هذا مقام العائذ بك! قال : وما لك ؟ قال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل ، فأقبلت فرسي فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو فقال : فرسي ورب الكعبة ، فقام إلي يضربني بالسوط ، ويقول : خذها وأنا ابن الأكرمين . . . فوالله ما زاد عمر على أن قال له: اجلس . ثم كتب إلى عمرو بن العاص : إذا جاءك كتابي هذا فأقبل ، وأقبل معك بابنك محمد . . وقال للمصري : أقم حتى يأتيك فدعا عمرو ابنه فقال : أأحدثت حدثا ؟ أجنيت جناية ؟ قال : لا . قال : فما بال عمر يكتب فيك ؟ فقدما على عمر . قال أنس : فوالله إنا عند عمر ، إذ نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه فإذا هو خلف أبيه ، فقال : أين المصري ؟ قال : ها أنذا ، قال: دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين ، فضربه حتى أثخنه ونحن نشتهي أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين ، ثم قال : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه ، قال : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت وقد ضربت من ضربني ، فقال : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه ، ثم قال عمر : يا عمرو ! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ فجعل يعتذر ويقول : إني لم أشعر بهذا ، ثم التفت عمر إلى المصري فقال : انصرف راشدا فإن رابك ريب فاكتب إلي » (١) .

ومن العجيب أن كل من حضر هذا الحادث كان قد وجد في نفسه من فعل ابن عمرو بن العاص ، وكان يحب أن يضربه القبطي المصري ، كما يقول أنس ﷺ : « فضربه حتى أثخنه ، ونحن نشتهي أن يضربه » انتصارا للمظلوم ولو كان من غير المسلمين ، وردعا للظالم وعدم الوقوف معه ولو كان من قادة المسلمين .

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ، ج٢ ، ص٢٩٥ .

فمن الضروري ـ إذن ـ أن يبدأ الخطاب لغير المسلم ، بتقديم القدوة الحسنة .

خطاب القدوة لا ينافي البراء :

وقد يظن بعضهم أن في إعطاء القدوة ومعاملة غير المسلم بالبر والقسط والعدل، وبالتزام الحق ولو على النفس ، منافاة للبراء الذي يجب أن يكون بين المسلم وغير المسلم ، وأن فيه موالاة لهم ، وهذا غير صحيح ، إذ التزام الحق مع الناس ، ومعاشرتهم بالبر والقسط والعدل ، هو نداء الإسلام في كل حين ، ولم يقصد الإسلام يوما ما أن تقوم الحياة كلها بين المسلم وغيره على العداء المستمر ، والقتال الدائم ، وتجهم الوجوه ، وسوء المعاملة وفظاظة العشرة ، وفحش الكلام ، وبذاءة القول ، والظلم والتظالم . . لا ، لم يقصد الإسلام إلى ذلك إذ الأصل في حياة الناس : السلم ، وطيب المعاشرة والعدل ، والإنصاف ، والبر ، والإصلاح ، وحسن المقال ، وبهذا نادى القرآن ، يقول تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (١) .

ويقول أيضًا : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (٢) .

ولما قدمت أم أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ إليها في المدينة ، وهي مشركة وهي راغبة في صلة ابنتها ، فجاءت أسماء إلى رسول الله ﷺ تسأله عن صلتها ، فقال لها : « نعم ، صلي أمك » فأنزل الله تعالى :

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٣) .

وأكثر أهل التأويل والتفسير على أن هذه الآية محكمة ، باقية أحكامها إلى يوم الدين ، وهو ما اختاره الطبري والقرطبي والشافعي في أحكام القرآن وغيرهم .

---

(١) البقرة : ٨٣ .

(٢) الإسراء : ٥٣ .

(٣) الممتحنة : ٨ .

إذن فليس محظورا ولا ممنوعا ، ولا من الموادة والموالاة ، أن تبر غير المسلم المسالم ، وأن تقسط وتعدل في عشرته ومعاملته وأن تنصفه فيما له من حقوق على المسلمين (١) .

ثانيًا : خطاب المجادلة :

إن كانت بعض الفئات من البشر تفتح قلبها القدوة الحسنة فتسارع إلى الإيمان وتشهد بالتوحيد ، فإن فئات أخرى تؤثر فيهم المجادلة بالحسنى ، ويلزمهم الحوار بالتي هي أحسن ، فتنقاد عقولهم إلى الحق لتسلم القلوب لله رب العالمين .

والدعوات كلها تنطلق أساسا من الحوار ، وتتخذ سبيل الجدال في كل أطوارها ومراحلها ، ولا تتوقف المجادلة إلا باعتراض عنيد يستوجب إزالته باليد والسيف ، ثم تواصل المجادلة سيرها تلزم الحجة ، وتقنع المرتاب ، وتهدي الحيران ، وتثبت المتردد ، وتصارع الأفكار ، وتخاطب العقول ، ويبلج الحق فيها ويزهق الباطل ، إذ تقذف بالحق عليه فيدمغ ويزهق .

ولقد أكثر الدعاة من الجدال الحسنى ، عبر المرسلين والمتبعين لهم بإحسان حتى تضايق قوم نوح من جداله ، يؤاخذنه به ، ويرضى الله عنه ، بذكر شكايتهم وتضايقهم ، في معرض الإنكار عليهم في قوله تعالى : ﴿ قالُوا يا نُوحُ قد جادلتنا فأكثرْتَ جدالنا فأْتنا بما تعدُنا إن كُنت من الصَّادقين ﴾ (٢) .

فالقرآن ينبه الداعين إليه إلى التزام المجادلة في الدعوة إليه ، ويقرنها بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيقول تعالى : ﴿ ادعُ إلىٰ سبيل ربِّكَ بالْحكْمة والْمَوْعظة الْحسنة وجادلْهُم بالَّتي هي أحْسنُ ﴾ (٣) .

---

(١) من مرتكزات الخطاب الدعوي . ص٤٦ .

(٢) هود : ٣٢ .

(٣) النحل : ١٢٥ .

وينادي الله نبيه ﷺ والمسلمين أن يكون خطابهم إلى أهل الكتاب خطاب مجادلة ومحاورة بالحسنى ، يرسم لهم أساسيات هذا الجدال ، وما لا يضر الحق من الإقرار به وإعلانه والاتفاق فيه معهم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

بل أمر الله النبي ﷺ أن يدعو أهل الكتاب من غير المسلمين ، يناظرهم ويحاورهم ويجادلهم بأقصى ما يمكن اتخاذه من أساليب المجادلة والمحاورة ، فيقول له تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

يقول الجصاص رحمه الله : « وفي هذه الآيات دليل على وجوب المحاجة في الدين ، وإقامة الحجة على المبطلين . . قال : وقوله تعالى : ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٣) أوضح دليل على صحة الاحتجاج للحق » (٤) .

ولقد وصل الحال برسول الله ﷺ أن يباهل نصارى نجران في جداله معهم ، وقد قدموا عليه يجادلونه في عيسى عليه السلام ، فأنزل الله عليه قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٥) . يقطع عنهم الحجة ويلزمهم .

ويقول ابن القيم في فقه قصة مجادلته ﷺ لنصارى نجران : « ومنها : جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم ، بل استحباب ذلك ، بل وجوبه إذا ظهرت

---

(١) العنكبوت : ٤٦ .

(٢) آل عمران : ٦٤ .

(٣) آل عمران : ٦٦ .

(٤) من مرتكزات الخطاب الدعوى . . . ص٧٨ .

(٥) آل عمران : ٥٩ .